

## غاب المحاسنى ليبقى شعرا وذكرى

للدكتور عبد السلام العجيلى  
أديب القصة والرحلات  
مجلس النواب - سورية

لم تجمعنا صداقة حميمة ولا علاقة معلم بتلميذه. كان ١٣٣ أفقى من أن يكون من اساتذتى واسن من أن اكون من لداته. ومع ذلك كنت أحس بقربه من القلب كأعز الاصدقاء، لأن نفسه كانت فى براءة الاطفال وای انسان يقدر على أن لا يكون صديقا لطفل وان كان ذلك الطفل كبيرا؟ وكنت كذلك اراه خليقا بان يكون واحدا من اساتذتى، وان لم اجلس امامه على مقاعد المدرس. اليس هو من الطبقة التى انفتحت على العالم المعاصر، عالم الغرب بأدابه الثرية وحياته المغرية، ومع ذلك لم تأسرها مفاتن ذلك العالم بل ظلت وثيقة الصلات بماضيها شديدة الاعتزاز بقوميتها مخلصه لادبها القديم والحديث ولتاريخها المجيد؟

قلت بأن زكى المحاسنى كان فى دراءة الاطفال. ملامح وجهه تعطيك هذا الانطباع عنه من اول نظرة تقع عينك فيها عليه. على أن وجهه المورد وتقاطيعه السمحة وابتسامته الصافية ما كانت غير عنوان مقتضب لما كانت تفصله سريره الطيبة وما كان يشرحه نقاء نفسه. حتى حين تقدمت به السن، وما تقدمت به فى الحقيقة كثيرا، ظل هذا الانطباع عنه فى نفسى ثابتا. ظلمت أرى فيه العفوية غالبية وأرى كم هى كبيرة قابليته للاندھاش مما يطلع عليه فى هذه الحياة. وليس اكثر من هذا دلالة على ثوب طارئ، كانت تسترعى انتباهى منه هذه الدهشة الطفولية مما يسمع ويرى من التصرفات السيئة للناس، وأخبار المسيئين الى الاخرين واليه، ما كانت تؤله بقدر ما كانت تفتح لنفسه ابواب التعجب والاستغراب إذ كان بعيدا عن الحقد وعن مرارة النقمة وعن السوداوية، وأين لذلك الطفل ان يحمل فى قلبه غير الطيبة وان ينظر الى من حوله بغير عين البراءة والصفاء؟

كانت براءة الطفل فى نفس زكى المحاسنى ولم يكن فيها عبثه. وما كان ابعد زكى المحاسنى عن العبث فى حياته وفى عمله، يشهد بذلك تلامذته فى مختلف المدارس وفى المعاهد العالية وفى جامعات الوطن العربى التى حظيت به مدرسا وباحثا. كما تشهد بذلك دراساته العلمية ومؤلفاته الكثيرة. وما كانت اهتماماته الادبية غير اهتمامات الباحث الجاد الرصين والعميق. أما علاقاته الانسانية فكانت علاقات الاخ العطوف والاب المستقيم الطريقة، من غير تشدد أو قسوة. وقد رأيت فى لمحات من علاقاته هذه واعماله تلك فى

منصبه الثقافي في السفارة السورية في القاهرة، قبل الوحدة بسنوات، حين مررت بتلك السفارة زائراً، وفي عمله مديراً للتراث في وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق حين مررت بتلك الوزارة وزيراً. هذا غير ما رأيت منها في أبحاثه الادبية ومؤلفاته النقدية وفي شعره.

وهل يصح ذكر زكي المحامسي من غير أن يذكر شعره؟ يقول ابو العلاء في احدى رسائله ان ابا عباد، يعني البحرى، ما كان يقوى على كتابة رقعة فكان يجعل المنظوم عوضاً عن المنشور. ولو ان قارئاً ادبياً لم تتصل به مؤلفات فقيدنا الثرية ودراساته الادبية واقتصرت قراءاته على ما نشرته المجلات للدكتور زكي المحامسي في اعوامه الاخيرة، لظن ان فقيدنا قد خلف البحرى في هذه الخلة. كانت مراسلاته الاخوانية<sup>(١)</sup> وتعليقاته الادبية في الصحف وفي المكاتيب

(١) من هذه الاخوانيات مدار بيني وبين الفقيد حول كتابه «أبو نواس: شاعر من عبقرية». فقد اهدى الى رحمة الله كتابه ذلك عن ابي نواس، الحسن بن هانئ، بأبيات شعرية هي الاتية:

- عبدُ السلام العجيلي .: قولُ ابي من قيلِ  
بحرٍ يجيُّ بشعر .: وقصة ذات سيل  
والطبُّ يَغنَى لديه .: وما به من ويل  
فليت انى مريض .: يشفى هواي بنيلي  
دواهُ. وهـو جوادُ .: على النهار وليل  
اليك منى النواسي .: بخمرة دون غيل  
قد عتقت في دنان .: وحدثتك بميل  
في جلسة عاش فيها .: دهقانها فوق خيل =

الخاصة كلها شعرا، وشعرا بحتريا فى رشاقة اللفظ وجمال الصور وموسيقية الجرس، حتى لكأنه كان يستسهل النظم أكثر من نثر الكلام. وما أتاه ذلك الا من فيض القريحة وغنى اللغة ويسر انطلاق الكلام الموزون المقفى على لسانه، وهى خصائص لازمت كل شعره. وقد حملت مجلة الاديب البيروتية بصورة خاصة كثيرا من عطائه الشعرى فى اخوانياته وقد اشترك معه فى النظم اصداؤه، وكان فى أغلبها هو البادئ فى اثارها وفى دفع اخوانه الى مجاراته. ولو تتبععت هذه الاخوانيات وسجلت لتألف منها كتاب طريف فى موضوعه، قيم فى فائدته.

وبعد فان كثيرين غيرى، ممن جمعتهم بفقيدنا الدكتور زكى المحاسنى رحمه الله علاقة العمل المشترك أو وشائج الصحبة = فاسكرت مثل فن .: تصوغه يا عجلى

٨ ايار ١٩٧٠

وقد اجبته على تلك الايات بأبياتى التالية:

- اثانى ابن هانى قد تناهى محاسنا .: بما دبحت يمنى زكى المحاسنى  
اعدت بهذا السفر للناس ذكره .: وأبتهته من بعد طول التهاون  
وقمت له بالعدر عن كل ما حسا .: وما عبّ فى دنيا الطلاب والشوادن  
رأيت عطاء العبقريّة شافعا .: بنزغات عرييد وفتكات ماجن  
فمن لى باحسان «الزكى» وحلمه .: اذا نصب الميزان يوم التغابن  
لعل كلاما طيبا كنت قلته .: يكفر عن عاب آتيت وشائين  
شكرت قريضا صغته بمهلل .: يكفر عن عاب آتيت وشائين  
واين من التيار قطر سحابة .: وكيف يفى شكرى بفضل المحاسنى

والصدّاقة، قادرين عل ان يتحدّثوا عنه حديثا يفى باحسانه ويجلّى  
عن مآثره أكثر مما استطيع فعله أنا فى هذه الكلمات القليلة. ما  
أردت قوله فى هذه الكلمات هو أن أحملها شعورى أمام فقد  
المحاسنى رجل الادب شاعرا وباحثا، الفائض النفس باحاسيس الحب  
والطيبة، الذى وهب من علمه وادبه هبة الكريم غير منتظر ثواب من  
اعطى على ما أعطى. كما أردت أن أقرن شعورى ذاك بشعور  
التقدير والتحية لرفيقة حياته السيدة وداد سكاكينى المحاسنى، وأنا واثق  
بان الم فقد الجسم وافتراقها فى هذه الدنيا الفانية لا ينسيها أن  
شريك - حياتها قرين لها حى بأدبه وشعره، وبما خلفه فى نفوس  
اصدقائه وتلاميذه وقرائه من ذكرى متوقدة بشعلة الحياة ونبيلة  
بصدقها ومحتواها.

\*\*\*

٧